مجلة مركز بحوث ودراسات

المدينة المنورة

العدد التاسع . ربيع الثاني . جمادى الآخرة ١٤٢٥ هـ يونيو - أغسطس ٢٠٠٤ م

٩

- دور بني العباس في إدارة المدينة المنورة
- ملامح الأدب في المدينة المنورة في العهد المملوكي
- تقرير عن التوثيق الميداني لغزوة أحد
- شجرة النيم من كنوز النباتات الطبية في المدينة المنورة
- فهرس مخطوطات (مكتبة المدينة المنورة) في ليدن (القسم الأول)

صلات أمين بن حسن الحلواني المدني بالشخصيات العلمية والاستشراقية في عصره وأثرها في جهوده العلمية

د. عاصم حمدان علي حمدان

أستاذ بجامعة الملك عبد العزيز بجدة

مقدمة

لا يمكن للباحث أن يتعرف - بعمق - على شخصية أمين بن حسن الحلواني المدني[1] ، المتوفى سنة ١٣١٦هـ/١٨٩٨م

---

(١) أمين بن حسن الحلواني المدني ، ينتسب إلى أسرة الحلواني المعروفة بالمدينة المنورة ، وقد لقيت منها عمه الشيخ عمر محمود حسن حلواني ، وكان يسكن في شارع العينية المعروف والمُؤَدِّي إلى الحرم النبوي الشريف - وبالتحديد في منعطف صغير بعد مكتبة ضياء ، وكان حتى فترة أواخر التسعينيات الهجرية مساعداً لرئيس بلدية المدينة ، وقد أخبرني الشيخ جعفر فقيه - أحد المهتمين بتاريخ المدينة اهتمامًا بالغًا - بأن تلك الدار التي كانت تقوم في شارع العينية كثيراً ما كان يسكنها رؤساء بلدية المدينة ؛ ووالد عمر حلواني أي : (محمود) كان رئيساً للبلدية في حقبة ماضية ، وحمل اسمه (محمود) الثاني الذي أشرت إلى عمله أيضاً في منصب رفيع في بلدية المدينة ، وعلمت من الشيخ جعفر فقيه أن منتدى الأبَّارية كان يعقد فيها ، ويضم هذا المنتدى شعراء المدينة وخصوصاً أولئك الذين ينتمون لمدرسة عبد الجليل برادة (١٢٤٠ -١٣٢٧هـ) من أمثال : إبراهيم بن حسن الأسكوبي ، ومحمد العُمَري الواسطي ، ثم انضم إليهم لاحقا الشيخ محمد محمود التركزي - قبل أن تسوء علاقته مع عبد الجليل برادة وبعض رفاقه .

كان الحلواني أبيض اللون ويرتدي نظارة ليستعين بها في المطالعة والدرس ، فكان لون بشرته إضافة إلى اشتغاله بعلم الفلك العملي ، من العوامل التي أدت إلى فقدانه لحياته في طرابلس الغرب ، وذلك لاشتباه الأعراب فيه ظانين أنه جاسوس غربي وليس رحَّالة عربي كما حاول بعض العارفين إفهام أعدائه ، وكان الأعراب ينقمون على الغربيين بسبب السياسة الاستعمارية إزاء العرب والمسلمين ، فوقع الحلواني في أيديهم قتيلاً سنة ١٣١٦هـ ، بينما يرى الزركلي أن وفاته كانت في الهند .

مصادر الترجمة :

- حمد الجاسر : رحلات ، ط ١ (١٤٠٠هـ -١٩٨٠م) ص ٢١٣ .
- خير الدين الزركلي : الأعلام ، دار العلم للملايين ، ط٧ ، ج ٢ ، ص ١٥ -١٦ .
- عاصم حمدان : المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ، ط١ (١٤١٢هـ -١٩٩١م) ، مطابع دار العلم ، جدة ، ص ٤٧ -٧٤ .
- مجلة المنهل ، ج ١ ، ص ١٨٦ - ١٨٧ ، السنة الثالثة عشر ، ربيع الثاني ١٣٧٢هـ يناير ١٩٥٢م .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

دون أن يلم بالصلة التي انعقدت بينه وبين العالم اللغوي والأديب محمد بن

محمود التركزي الشنقيطي[١] ، الذي كانت له مشاركة فاعلة في الحياة الثقافية بالمدينة المنورة ، أواخر القرن الثالث عشر الهجري ، وكذلك الصلة بين الحلواني والمستشرقَين كارلو لاندبرج[٢] ، و ك. سنوك هُرْخْرُونيه[٣] .

وسوف أعرض فيما يلي لهذه الصلة ، وأثرها في حياة الحلواني العلمية وإنتاجه .

التركزي ومشاركته في الحياة الثقافية بالمدينة المنورة وصلة الحلواني به

من الشخصيات العلمية البارزة التي استقرت لفترة في بلاد الحرمين الشريفين ؛ العالم اللغوي ، والأديب محمد بن محمود بن أحمد بن محمد التركزي الشنقيطي[٤] ، المتوفى في مصر ، سنة (١٣٢٢هـ/١٩٠٤م) .

---

(١) يبدو من النص الذي نقله الشيخ حمد الجاسر في كتابه (رحلات) ص ٢١٣ عن أمين الحلواني أن التركزي كان يسكن في حارة الأغوات بقرب منهل العين الزرقاء ، يقول كاتب الترجمة الفقير إلى الله : ((لقد أدركت في مطلع العمر هذا المنهل ، وكان الناس يتزودون من مائه عن طريق النزول إليه بدرج خاص لوقوعه في مكان منخفض ، وكان يفصل بينه وبين موقع المدرسة القديم المعروف في حارة الأغوات باسم (الرُّستمية) شارع صغير يؤدي إلى الجزء الآخر من حارة الأغوات ، والذي يتصل في نهايته بما كان يعرف بدرب الجنائز ، إضافة إلى مدخل آخر صغير يؤدي إلى المنطقة الواقعة أمام بقيع الغرقد حيث كان يقع قبر إسماعيل بن جعفر الصادق - رحمه الله - والذي أزيل فيما بعد لصالح توسعة منطقة البقيع .

(٢) كارلو لندبرج : مستشرق سويدي ، يلقب بـ (كونت) ، قام بعدة رحلات إلى البلاد العربية ، ومكث فيها أعوامًا تعلم اللغة العربية وآدابها ، ثم استقر بباريس . من مؤلفاته : أمثال أهل بر الشام ، والمغرب المطرب ، وفهرس المخطوطات العربية المحفوظة في مكتبة برلين . توفي سنة ١٩٢٤م/١٣٤٣هـ . الأعلام ٥/٢١٤ .

(٣) كرستيان سنوج هرخرونيه : مستشرق هولندي ، رحل إلى مكة وجدة ، وأقام فيها سبعة أشهر متخفيًا ، ثم رحل إلى بلاد الجاوي ، وأقام فيها ١٧ سنة . درَّس العربية في جامعة ليدن ، وعُيِّن مستشارًا في الأمور الإسلامية بوزارة المستعمرات الهولندية ، له مؤلفات عديدة ، منها : مكة في القرن التاسع عشر ، والإسلام وتاريخه ، والشريعة الإسلامية ، وغيرها ، توفي سنة ١٩٣٦م/١٣٥٥هـ . الأعلام ٥/٢٢١ .

(٤) محمد محمود الشنقيطي ، ولد في شنقيط بموريتانية ، ثم رحل إلى مصر ، فأقام بها مدة ، ثم رحل إلى الحجاز ، وتنقل بين مكة والمدينة ، ثم غادرها إثر خلاف بينه وبين العلماء ، واستقر في مصر إلى وفاته .
له مؤلفات عديدة ، منها : الحماسة السنية في الرحلة العلمية ، وإحكام الحق ، وهو حاشية على شرح لامية العرب لعاكش اليمني ، وتصحيح الأغاني . الأعلام ٧/٨٩ -٩٠ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

فبعد أن قدم إلى مكة المكرمة مجاورًا ، انتقل إلى المدينة المنورة ، ولهذا كان ينعت نفسه بالشنقيطي المدني المكي[١] .

وعند إقامته بالمدينة المنورة اختلف مع بعض علمائها ، مثل السيد أحمد البرزنجي[٢] ، المتوفى سنة (١٣٣٧هـ/١٩١٩م) ، وكان الخلاف حول ما تضمنته رسالة السيد البرزنجي الموسومة « إصابة الداهي ، شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي »[٣] .

وعبارة : « إن لم يجد إلا هي » وردت في كتاب الموطأ للإمام مالك - إمام دار الهجرة - وفي باب النذور بالتحديد ، حيث قال إمام دار الهجرة[٤] فيمن نذر المشي إلى الحج ولا يستطيع المشي : « فليمش ما قدر عليه ، ثم ليركب ، وعليه هدي بدنة أو بقرة أو شاة إن لم يجد إلا هي » .

فعلق الفقيه المالكي أحمد بن محمد العربي زروق على هذه العبارة الأخيرة من ناحية لغوية صرفية بقوله : « حيث إن مقتضى القوانين العربية أن يقال : إلا إياها ؛ إذ الضمير مفعول الفعل المتعدي ، وهو (يجد) » .

وهذا الخدش واضح التعلق بعبارة الإمام ، وهو ﷺ وإن لم يكن من أرباب السليقة العربية ، الذين يلتزمون في كلامهم عدم الحيادة عن قوانينها ، بل إن مالك بن أنس من الأئمة الذين يحتج بأقوالهم دون استعمالهم ، لكن حمل كلام مثله على موافقة قواعد اللسان واجب ما أمكن .

---

(١) انتشرت ظاهرة الانتساب إلى مكة والمدينة عند كثير من العلماء - وغير العلماء - الذين هاجروا إلى هاتين المدينتين المقدستين ، أو جاوروا فيهما مدة طويلة ، ولا شك أن لهذا الانتساب دلالات كثيرة ، منها : التعلق الشديد بهما ، وتمكن الهوية العربية الإسلامية عند هؤلاء المنتسبين ، ولو كانوا من أصول غير عربية ، وانتفاء الشعور السلبي عند ذكر البلد الذي ينتمي إليه أصلاً .

(٢) أحمد بن إسماعيل بن زين العابدين المدني ، شهاب الدين البرزنجي ، من أعيان المدينة المنورة ، نشأ بالمدينة ، وتعلم بها ، ثم أكمل دراسته بالأزهر بمصر ، ثم عاد إلى المدينة ، فدرَّس بالمسجد النبوي ، وتولى إفتاء الشافعية فيها ، وانتخب رئيسًا عن أهل المدينة في مجلس النواب العثماني بإستانبول ، سافر إلى دمشق أيام الحرب العالمية الأولى ، واستقر فيها إلى وفاته سنة ١٣٣٧هـ/١٩١٩م . من مؤلفاته : المناقب الصديقية ، ومناقب عمر بن الخطاب ، والنظم البديع في مناقب أهل البقيع . الأعلام ٩٩/١ .

(٣) وقد طبعت الرسالة - وأحتفظ بنسخة منها - بالمطبعة الرسمية التونسية سنة ١٣٠٩هـ ، ونجد في الترجمة التي كتبها الزركلي للسيد البرزنجي أنه - أي الزركلي - يورد اسم الرسالة مختلفًا كالتالي : (إصابة الدواهي في إعراب إلا هي) .

(٤) انظر : الموطأ ، رواية يحيى بن يحيى الليثي ، ص ٢٤٢ -٢٤٣ ، ط. دار الكتب العلمية ، بيروت .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويبدو أن السيد البرزنجي دفعًا لتهمة التقليل من شأن الإمام مالك ، دفع بالسؤال إلى أحد علماء المذهب المالكي في عصره ، والذين قدموا إلى المدينة المنورة - آنذاك - ، وهو الشيخ زروق ، وهذا الأخير بدوره أرسل إلى شيخه سالم بوحاجب التونسي ليسأله عن هذا الإشكال اللغوي ، والذي كشف السيد البرزنجي أن أول من أثار الكلام حوله هو أحد العلماء المجاورين بالمدينة المنورة ، الشيخ السيد حبيب الرحمن ، ابن السيد علي اللكنوي ، الموسوي نسبًا ، المدني مهاجرًا .

ولهذا نجد أن حكمة السيد البرزنجي تدفعه لأن يورد في رسالة موجزة من تألفيه تناقش هذه القضية رأي علماء المالكية أولاً ، من أمثال الشيخ زروق ، وشيخه بوحاجب التونسي ، ثم يورد رأيه في الموضوع نفسه في الرسالة التي تضمنت مختلف الآراء ، والتي أسماها :(إصابة الداهي شاكلة إعراب إن لم يجد إلا هي) .

وإذا كان الشيخ التركزي مثل بقية علماء شنقيط مالكي المذهب ، وكانت صلاته بالسلطان العثماني (عبد الحميد) ، وكان السيد البرزنجي شافعي المذهب ، بل إنه كما ورد في ترجمته عند الزركلي قد تولى منصب إفتاء الشافعية بالمدينة المنورة ، كما أنه انتخب نائبًا عن البلدة الطاهرة في مجلس النواب العثماني بإستانبول .

إذا أخذنا جميع هذه الحيثيات ، سهل علينا تفهم دواعي تلك الحملة التي قادها التركزي ضد البرزنجي ورصيفه الشيخ عبد الجليل برادة ، وحمل حملاً عنيفًا كذلك على منتداهم الأدبي في بستان الأبَّارية البراديَّة ، والذي كان يقوم قرب باب بقيع الغرقد بالمدينة المنورة[1] ، مدعيًا في حماسته أنهم تجرأوا على تلحين الإمام أبي عبد الله ؛ مالك بن أنس ، إمام دار الهجرة ، وذهب - أي التركزي - إلى حد بعيد في التعرض بغير وجه حق لنسب آل البرزنجي[2] .

---

(١) ظهر في المدينة المنورة عدد من المجالس الثقافية الخاصة ، التي تعقد في بيوت بعض وجهائها وعلمائها أو بساتينهم ، وكانت تدور فيها حوارات أدبية وثقافية مهمة .

انظر : د. ماجد العامري ، تقرير عن المجالس الثقافية المعاصرة في المدينة المنورة ، مجلة مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، السنة الأولى ، العدد الثالث ، ١٧٥ -١٩٠ .

(٢) محمد محمود بن التلاميذ التركزي الشنقيطي: الحماسة السنية ، الكاملة المزية في الرحلة العلمية الشنقيطية التركزية ، مطبعة الموسوعات بالقاهرة ، ١٣١٩هـ ، القسم الثاني ، ص ٣ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ولقد نتج عن هذا التعاطي مع هذه القضايا التي تدخل في باب الشكليات ، ولا تمس جوهر العلم ، أو تتعرض للمقدس من أمور الشريعة[١] ؛ قيام علماء المدينة بالرد على الشيخ التركزي ، فكتب السيد البرزنجي رسالة سماها : (فتكة البراض بالتركزي المعترض على القاضي عياض) ، لأن التركزي في الوقت الذي دافع فيه عن الإمام مالك ، خطَّأ أحد أعلام المذهب المالكي ، صاحب كتاب : (ترتيب المدارك ، وتقريب المسالك ، لمعرفة أعلام مذهب مالك) ، وهو القاضي عياض بن موسى بن عياض اليحصبي[٢] ، الذي ولد بسبتة سنة ٤٩٦هـ ، وتوفي في مراكش سنة ٥٤٤هـ .

وجاء رد التركزي في شكل قصيدة حادة سماها : (فتكة التركزي الناظم ، بالبرزنجي المدعي نسبة مزورة إلى موسى الكاظم) ، والقصيدة التي تجاوزت مائة من الأبيات الشعرية ، مثبتة في كتاب التركزي الذي أشرنا إليه : (الحماسة السنية الكاملة المزية) القسم الثاني ١٣ -٢١ .

ومن المآخذ على الشيخ التركزي ؛ تعرضه لأنساب الأسر المدنية ، وكان بإمكانه - وهو صاحب فقه ودراية بمقتضيات الشريعة - ألا يقحم النسب في قضايا علمية أشبعت بحثًا ، ولكن يبدو أن خلاف العلماء يتجاوز - أحيانًا - الحد المطلوب من الانضباط الخُلُقي ، ويدخل في متاهات تجر على أطرافها الكثير من العنت والمشقة ، ولهذا الخلاف الحاد الذي وقع بين التركزي من جهة ، وعلماء المدينة (البرزنجي والبرادة) من جهة أخرى ؛ طلبت الحكومة التركية من التركزي مغادرة المدينة ، فرحل إلى مصر ، واتصل بالعالم المعروف - آنذاك - الإمام الشيخ محمد عبده .

وجد التركزي في أحد علماء المدينة المنورة - قبل أن يرحل منها - وهو أمين بن حسن الحلواني المدني ، معاضدًا ومؤازرًا ، وخصوصًا أن الحلواني اختلف

(١) بينما يرى المؤرخ المعروف السيد أمين بن عبد الله مدني في مثل هذه المناظرات حرص مدرسة المدينة على قواعد اللغة العربية في أحرج ظروفها . انظر: أمين مدني ، الثقافة الإسلامية وحواضرها ، (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠م ، ص ١٣٩) .

(٢) لمزيد عن هذه الشخصية العلمية ، انظر: القاضي أبي الفضل عياض اليحصبي ، الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، دار الفكر ، ١٤٠٩هـ / ١٩٨٨م.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

هو الآخر مع بعض علماء المدينة المنورة في تلك الحقبة ، وذلك بعد تأليفه في سنة (١٢٩٢هـ/ ١٨٧٥م) رسالة ينكر فيها صحة المخلفات النبوية ، كما أصدر سنة (١٣١٢هـ) رسالة تحت عنوان : (السيول المغرقة على الصواعق المحرقة)[١] ، ويذكر محب الدين الخطيب أن الكتاب رد على السيد أحمد أسعد المدني ، وهو من المنتمين إلى طريقة الشيخ أبي الهدى الصيادي ، ولكن الرسالة المذكورة لم تحمل اسم الحلواني ، بل حملت اسمًا مستعارًا ، وهو : عبد الباسط المنوفي .

ويشير المستشرق سنوك (SNOUCK)[٢] إلى توجه الحلواني المخالف للتوجهات الدينية السائدة آنذاك ، ولكنه - أي سنوك - يورد وجهة النظر المختلفة الأخرى ، والتي جاءت على لسان أصدقاء الشيخ مظهر المدني ، بأن كتابته ضد المخلفات النبوية هو نتيجة لعامل الحسد الذي يلاقيه الشيخ مظهر من أمين الحلواني .

ويبدو أن العامل المشترك بينهما - عامل الاختلاف مع معظم علماء المدينة - وطد العلاقة بينهما ، وجعل الحلواني يتتلمذ على التركزي ، والتركزي يزور الحلواني في بيته .

وقد نقل الشيخ حمد الجاسر في كتابه (رحلات)[٣] أن أمين الحلواني قرأ كتاب (عمود النسب) للفهامة أحمد البدوي على الشيخ محمد التركزي سنة ١٢٩٩هـ في دار الحلواني المطلة على حديقة العينية .

وقد تعمقت هذه العلاقة بشكل أكبر في مصر عندما رحل كل من الرجلين إليها .

المستشرقان لاندبرج وسنوك وصلة الحلواني بهما :

وقد كان لنزوح التركزي والحلواني أثره على حياتهما العلمية فلقد أقاما علاقة مع المستشرق السويدي (الكونت

(١) عاصم حمدان ، المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ، ط١، (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ، القسم الأول ، ص ٥٥ .

(2) MEKKA, IN, THE, LATTER, PART OF THE 19TH CENTURY, NOTE, P. 289 .

(٣) انظر : رحلات ، لحمد الجاسر ، ص ٢١٣ ، ط١ ، إشراف دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر ، المملكة العربية السعودية .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

كارلو لاندبرج CARLO-LANDBERG) ، والذي تخصَّص في دراسة لهجات جنوب الجزيرة العربية[١] .

وكان لاندبرج يشغل أيضًا منصبًا رسميًا ، وهو سفير السويد والنرويج لدى مصر ، فقُدِّمَت دعوة من ملك السويد والنرويج (أسكار الثاني) عن طريق السلطان العثماني عبد الحميد الثاني ، للشيخ محمود التركزي لحضور مؤتمر المستشرقين الثامن المنعقد في مدينة استكهولم ، وكُلِّف (لاندبرج) بالإشراف على متطلبات الرحلة ، ولكن التركزي اشترط شروطًا عدة ، يجب تنفيذها من قِبَل الدولة العثمانية حتى يوافق على السفر ، ولكن عدم قدرة الدولة العثمانية على تحقيق بعض الشروط حال كما يبدو دون حضور التركزي ذلك المؤتمر ، ولكن حماسته نتجت عنها قصيدة يمدح فيها ملك السويد (أسكار الثاني) ، ويشيد بحبِّه للعلم حسب طلب السفير (لاندبرج) ، وقد بلغت أبيات القصيدة حوالي مائتي بيت على نسق الشعر العربي القديم[٢] .

ويبدو أن (لاندبرج) شجع الحلواني على السفر إلى ليدن سنة (١٣٠١هـ -١٨٨٣م) ، وكان بصحبة الحلواني مجموعة مهمة من المخطوطات يبلغ عددها (٦٦٤) مخطوطة ، فابتاعتها منه مكتبة ليدن الغنية بنفائس المخطوطات العربية[٣] .

ويذكر الباحث المتخصص في شؤون الاستشراق قاسم السامرائي أن جامعة برنستون بأمريكا اشترت قسمًا من هذه المخطوطات[٤] .

وأثمرت العلاقة العلمية بين الحلواني و (لاندبرج) ، بأن قام هذا الأخير بوضع فهرس للمخطوطات التي جلبها الحلواني من المدينة المنورة عن طريق مصر إلى ليدن ، وكتب مقدمة له ، وتحتوي مكتبة جون رايلاندز بجامعة مانشستر : على نسخة من هذا الفهرست:

JOHN, RYLANDS, LIBRARY, OF MANCHESTER

---

(١) د. عبد الرحمن بدوي ، موسوعة المستشرقين ، ط١ ، ١٩٨٤هـ بيروت ، ص ٣٥٠ -٣٥١ .

(٢) الحماسة السنية الكاملة المزية ، القسم الأول ، ص ٦ -١٧ .

(٣) المدينة المنورة بين الأدب والتاريخ ، ط١ ، (١٤١٢هـ/١٩٩١م) ص ٥٥ .

(٤) د. قاسم السامرائي ، الاستشراق بين الموضوعية والافتعالية ، منشورات دار الرافعي ، ط (١٤٠٣هـ -١٩٨٣م) ص ١١١ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والذي قمت بمساعدة بعض الزملاء في جامعة مانشستر في أثناء دراستي بها (١٩٨٢ - ١٩٨٦م) بالحصول على نسخة منه باللغة الفرنسية ويحمل اسم :

CATALOGUE DE MANUSCRITS ARABES.
PROVENANT DUNE BIBLIOTHEQUE PRIVEE AEL- MEDINA
REDIGE, PAR, CARLO LANDBERG
LEIDE - E. J. BRIL LL 1883

(فهرس مخطوطات عربية مأخوذة عن مكتبة خاصة بالمدينة)

ثم عملت على ترجمته من لغته الأصلية الفرنسية - التي كتب بها الفهرس - إلى اللغة الانجليزية[١] .

استطاع الحلواني أن يقيم في رحلته تلك لمؤتمر المستشرقين علاقة أيضًا مع المستشرق الهولندي (سنوك هرخرونيه) .

وعندما نشر الحلواني انطباعاته عن المؤتمر في جريدة الرهان القاهرية ، سارع سنوك إلى ترجمتها ، والجدير بالذكر أن سنوك قام بعد ذلك برحلة إلى مكة (١٣٠٣هـ/١٨٨٤م) ، ودون خلالها كتابه الشهير (مكة المكرمة في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي[٢] ، ولا ندري هل كان للحلواني أثر في تشجيع سنوك على تلك الرحلة بشكل مباشر أو غير مباشر أم لا ؟ .

ومن الملحوظات الجديرة بالدراسة هي اهتمام المستشرق الهولندي (سنوك) بالعلاقة العلمية بين علماء الحرم المكي الشريف والمؤسسات التعليمية في جنوب شرق آسيا وخاصة (إندونيسيا) ، وكانت الكتب المعتمدة في الثقافة الدينية في إندونيسيا هي تلك التي يعتمدها علماء مكة المكرمة في جميع التخصصات الدينية .

---

(١) قام مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة بالتنسيق مع كاتب هذا البحث الدكتور عاصم حمدان بترجمة الفهرس إلى العربية ، واستأنس بالأصل الفرنسي ، ونشر في هذا العدد من المجلة القسم الأول منه . انظر ص ؟؟؟ من هذا العدد .

(٢) عنوان الكتاب بالإنجليزية MEKKA IN THE LATTER PART OF THE 19TH CENTURY وقد ترجمته دارة الملك عبد العزيز ، وأصدرته في جزئين بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة ، ووضعت له عنوان : (صفحات من تاريخ مكة المكرمة) ، كما ترجم الجزء الثاني الدكتور علي عودة الشيوخ ، وأعاد صياغته ، وعلق عليه كل من الدكتور محمد محمود السرياني ، والدكتور معراج تواب ، وأصدره النادي الأدبي بمكة .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

ويذكر الدكتور مارتن برونسن[١] أن أكثر هؤلاء العلماء تأثيرًا هم أولئك الذين ازدهروا علميًا في مكة المكرمة ، في نهاية القرن التاسع عشر ، ومن هؤلاء أحمد زيني دحلان ، مفتي مكة المكرمة الشافعي خلال مكوث (سنوك هرخرونيه) هناك ، ثم معاصره السيد بكري بن محمد شطا .

وقد قمت بمكاتبة القيم على القسم الشرقي بمكتبة (بريل لندن) ، الباحث j.j. Witkam مستفسرًا عن العلاقة بين الحلواني و (سنوك) التي ربما استثمرها الأخير في معرفته بالطريق المؤدي إلى الجزيرة العربية وإلى مكة خاصة - فأجاب (وتكام) بأن مكتبة ليدن تحتفظ بصورة للشيخ الحلواني وعليها إهداؤه الخاص للمستشرق (سنوك) ، وأن (سنوك) قام بترجمة انطباعات صديقه الحلواني عن مؤتمر المستشرقين من اللغة العربية إلى اللغة الهولندية .

ولعل في هذه الرسالة ما يجيب عن تساؤلات الدكتور قاسم السامرائي عما إذا كانت هناك علاقة بين الحلواني و (سنوك) ، ودور هذه العلاقة ، كما يذكر السامرائي ، في رحلة (سنوك) إلى جدة ومن ثم إظهاره الإسلام ، ودخوله مكة المكرمة .

وأخيرًا لعله من المفيد أن نشير إلى أن خروج التركزي والحلواني من المدينة بسبب خلافاتهما الفكرية مع بعض علماء عصرهم ، قد فتح أمامهم أبواب مستقبل علمي جديد ، كان من ثمراته هذا الالتقاء العلمي والفكري بين الشرق والغرب ، على الرغم من كل الشكوك التي يثيرها البعض حول الدواعي الحقيقية لمثل هذه اللقاءات العلمية ، وعائدها الإيجابي على مستقبل الأمة الحضاري والفكري .

جهود الحلواني العلمية :

لقد عمل الحلواني على نشر بعض كتب التراث خصوصاً في رحلته إلى الهند ، وهي محطته الثانية بعد ليدن ، فقد نشر في بومباي بالهند سنة ١٣٠٤هـ - ١٨٨٦م كتاب مطالع السعود

---

(١) مارتن فان برونسن ، الكاتب العربي في إندونيسيا ، ترجمة د. قاسم السامرائي ، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ص ٤٣ -٤٥ .

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

لعثمان بن سند البصري[1] ، وهو الكتاب الذي يشتمل على أخبار بغداد ، في الحقبة الممتدة بين سنتي ١٧٧٤ -١٨٢٦م ، كما نشر الحلواني في الهند سنة ١٣٠٧هـ كتابا ينتقد فيه مؤلفات جرجي زيدان التاريخية أطلق عليه اسم (نشر الهذيان من تاريخ جورجي زيدان) ، وقد قام الزميل الدكتور مازن مطبقاني بإعادة نشر هذا الكتاب بعد تحقيقه ، كما التفت الحلواني - أيضاً - إلى الدواوين الشعرية ، وهذا يكشف عن جانب من جوانب حياته العلمية ، حيث قام في سنة ١٣٠٩هـ - وبالهند أيضاً - بطباعة ديوان لزوم ما لا يلزم لأبي العلاء المعري ، وأردف ذلك بكتابة ترجمة عن حياة أبي العلاء وبعض الشروح والتعليقات على عمله المعروف باللزوميات .

وإذا كان الحلواني قد عاش في مطلع حياته في المدينة المنورة ، والمعروفة بزراعتها للنخيل ، وأنه كان يقيم في دارهم بحديقة العينية ، المعروفة بأشجار النخيل أيضاً ، فإنه أراد أن ينقل تجارب أهل المدينة في الفلاحة والتي اقتبسوها من أهل القصيم في نجد مثل بريدة وعنيزة والرس ؛ لقرب المدينة من هذه المناطق الواقعة في شمالها ، فألف في مصر سنة ١٣٠١هـ ، رسالة سمَّاها (جني النحلة في كيفية غرس النخلة) .

وكانت هوايته الأصلية - وهي دراسة علم الفلك - لا تفارقه أبدًا ، ولقد تلقى هذا العلم عن حسن الأسكوبي والد الشاعر إبراهيم الأسكوبي ، وقد أقام الأسكوبي الأب أسطرلاباً فلكياً في المدينة ليعرف به مواقع النجوم ولكن بعض رجال عصره انتقدوه فتخلى عن تطبيق هذا العلم تطبيقاً عملياً .

الحلواني وكيفية اقتنائه أو حصوله على هذه المخطوطات :

لقد أثار عدد من الدارسين تساؤلات عدة عن كيفية حصول أمين الحلواني على هذا العدد الكبير من المخطوطات النفيسة

(١) عثمان بن سند البصري الوائلي ، مطالع السعود بأخبار الوالي داود ، اختصار أمين بن حسن المدني ، تحقيق المخطوط لدين الخطيب ، القاهرة ، ١٣٧١هـ المقدمة.

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

والنادرة ، فقد بلغ عدد المخطوطات التي اشترتها مكتبة ليدن ستمائة وستين مخطوطة مختلفة الأحجام والموضوعات ، وكان الأستاذ المرحوم محمد حسين زيدان من الذين أثاروا فقدان مكتبة عارف حكمت لعدد كبير من مخطوطاتها ، وكان ذلك في حفل التكريم الذي أقامه الأستاذ الأديب عبد المقصود خوجه لمحقق التراث المعروف الأستاذ صلاح الدين المنجد ، وذكر الأستاذ الزيدان بأن أحد المسؤولين عن المكتبة فرَّط في عدد كبير من مخطوطات المكتبة الهامة ، وكانت المكتبة تقوم في الناحية القبلية من المسجد النبوي وبالقرب من موقع دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ ، ولما سمعت ذلك تواردت إلى ذهني الشكوك التي دارت حول أمين الحلواني ، وإن كان الأستاذ الزيدان لم يذكره بالاسم فلقد ذكره غيره في مناسبة أخرى ، ولهذا أروي هنا ما دونته عن المرحوم السيد حبيب محمود أحمد والذي كان مسؤولاً لمدة طويلة عن الحرم النبوي الشريف والمكتبات التابعة لوزارة الحج والأوقاف - سابقًا - قبل أن تصبحا وزارتين مستقلتين ، فلقد أكد لي - شخصيًا - رحمه الله أنه للتحقق من هذه القضية كلَّف كلاً من الأستاذ محمد حميدة الطيب - أطال الله بقاءه - والأستاذ محمد سعيد عبد القادر الشلبي - رحمه الله - ووالد هذا الأخير كان له الفضل في تزويد الأستاذ الزيدان بالثقافة الدينية والعربية والتاريخية ، فقام الاثنان بعملية مراجعة الكشوف القديمة في المكتبة منذ عام ١٣٠٠هـ والتي كان الغرض منها جرد الكتب سنويًا ، وتقديم كشف بعملية (الجرد) هذه للمسؤولين ، ثم قاموا بعملية جرد لمحتويات المكتبة ، فكان الفرق بين ما أثبتته الكشوف القديمة الموثقة وعملية الجرد المتأخرة ، هو حوالي (١٣٠) مخطوطة وأن ما يقرب من حوالي (٧٠) أو (٨٠) مخطوطة قد عاد إلى الأستانة بطلب رسمي من المسؤولين - آنذاك - وأن المفقود من المخطوطات وهو لا يتعدى أربعين أو خمسين مخطوطة هو من الرسائل الصغيرة ، وعلق أبو أحمد : إن هذا إبراء لذمة أمين المكتبة الشيخ إبراهيم

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

خربوطلي - رحمه الله - ، وذكر لي - رحمه الله - أن القائد العثماني فخري باشا ، حاول قبل تسليم المدينة أن يقنع حفيدة شيخ الإسلام ومؤسس المكتبة - عارف حكمت - أن تسمح له بنقل المكتبة إلى تركيا فرفضت بشدة ، ومع هذا فقد أمر بنقل المكتبة ، وعندما وصلت إلى الشام قامت الحرب العالمية الأولى فظلت المكتبة هناك ، وبعد انتهاء الحرب ، أمر الشريف عبد الله بن الحسين بإرجاعها إلى المدينة ، وأنه على الرغم من وجود مخطوطات المكتبة بالقرب من نهر بردى فإنها لم تصب بأذى ، وحتى أكون أكثر دقة فإن اسم الشخص الذي أمر بإرجاع المكتبة سمعته من الشيخ الفاضل جعفر بن إبراهيم فقيه - رحمه الله - بداره السابقة (بصيَّادة) بحي باب المجيدي ، ورواية السيد حبيب والشيخ الفقيه الذي كان مسؤولاً عن مكتبة المدينة العامة ، وبذل جهوداً كبيرة في ضم عدد من مكتبات المدارس الخاصة وبعض المجموعات الهامة التي كانت في دور العلم والمعرفة بالبلد الطاهر ، مثل مجموعة السادة آل الصافي ، ومجموعة محدث الحرمين الشريفين الشيخ عمر حمدان المحرسي ، أقول إن هاتين الروايتين اللتين سمعتهما بأذني متطابقتان إلى حد بعيد.

إضافة إلى ما ذكرناه فإن الحقبة التي عاش فيها أمين الحلواني وهي نهاية القرن الثالث عشر ومطلع القرن الرابع عشر الهجريين هي حقبة تتسم بالأمن نسبيًا ؛ لأن عمليات السطو على الكتب تتم في الحقب التي يتدهور فيها الأمن تدهورًا تامًا ولم يحدث ذلك إلا عند حصار المدينة - في عهد القائد التركي المعروف فخري باشا في الفترة ما بين ١٣٣٤هـ -١٣٣٧هـ .

وإذا أخذنا في الاعتبار أن والد الحلواني كان من أعيان المدينة المنورة وأفاضلها ، إضافة إلى أنه شخصيًا من أهل العلم ، وكان مدرسًا بالحرم النبوي الشريف ، كما كان حريصًا على اقتناء الكتب ونسخها ، ونَشْرِ المخطوط منها ، وخصوصًا أنه استقر في مصر ، وفترة أخرى بالهند ، ولقد كان كثير من التراث الإسلامي والعربي يخرج منشورًا ومضبوطًا ومحققًا عن القاهرة بمصر وبومباي بالهند ، ولقد أدرك الحلواني بذكائه أهمية الرحلة في طلب العلم ، ولم يتوقف حتى لقي مصرعه في بادية طرابلس الغرب سنة ١٣١٦هـ -١٨٩٨م ، وبناءً

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة

عليه فإن ما يدور حول شخصية الحلواني والمخطوطات التي ابتاعتها منه مكتبة بريل ، هو مما يدخل في دائرة الظن وليس في باب التحقق والتثبت .

وفي النهاية لقد بقيت هذه المخطوطات ذات الأهمية البالغة والمتنوعة في الفنون التي تتطرق إليها ؛ ومن هذه الفنون ما هو نظري ، ومنها ما هو تطبيقي محض ، نعم لقد بقي هذا التراث محفوظًا ويمكن لطلاب العلم الاستفادة منه ، وهناك تراث عربي وإسلامي متناثر في مكتبات العالم الغربي وجامعاتها ، ونحتاج إلى وقت طويل قبل أن نعرف بصورة شاملة كيف وصل هذا التراث إلى تلك المؤسسات الغربية ، ولعل الأهم من هذا كله هو الحفاظ على ما تبقى لدينا من تراث مخطوط ما يزال حبيس بعض المكتبات الخاصة ، وحَسْبُ الأبناء أن يُفْرِجُوا عما خلفه الآباء والأجداد وعملوا على كتابته وتدوينه ونسخه ؛ حرصًا منهم على نشر العلم وتعميم فائدته على الآخرين .

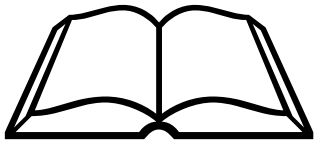

المستودع الرقمي لمركز بحوث ودراسات المدينة المنورة